دور وسائل التواصل الاجتماعي في تأجيج العصبية المذهبية

The role of social media in fueling sectarian nervousness

د. أسماء غيلان *

جامعة عبد المالك السعدي (المغرب)، rachid1433@yahoo.com

تاريخ الإرسال: 27/ 10/ 2019 تاريخ القبول: 06/ 12/ 2019 تاريخ النشر: 23/ 03/ 2020

الملخص:

لاحظت الباحثة طغيان لغة التسفيه والعنف على مواقع التواصل الاجتماعي في كل مناسبة من مناسبات عاشوراء، وفي كل ذكرى المولد النبوي، ولذا قررت الكتابة في موضوع: "دور وسائل التواصل الاجتماعي في تأجيج العصبية المذهبية " .

ويهدف هذا البحث إلى ما يلي:

- التنبيه لسوء استخدام وسائل التواصل الاجتماعي من طرف المتعصبين .
- التنبيه لخطورة الظاهرة على وحدة الأمة الإسلامية .
- التنبيه لدور الأحاديث الموضوعة المنتشرة على مواقع التواصل في تأجيج العصبية المذهبية .

الكلمات المفتاحية: وسائل التواصل الاجتماعي؛ العصبية المذهبية؛ التعصب.

*المؤلف المرسل

Abstract:

After I have noticed a certain pervasiveness of discrediting and violent vernaculars on social media websites on every anniversary of Ashura, and every anniversary of the Birth of the Prophet, I decided to write about the topic: "the Role of Social Media Networks in Fomenting Sectarian Fanaticism". The research has the following objectives :

-To draw attention tothe misuse of social media outlets by some fanatics.

-To draw attention to the danger of the phenomenon for the unity of the Islamic Nation.

-To draw attention to the role of the unauthentic Hadiths widespread on social media websites in fomenting sectarian fanaticism.

Keywords: social media networks, sectarian fanaticism, bigotry

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وآله وصحبه الطيبين الطاهرين؛ أما بعد:

ففي شهر ربيع الأول من كل سنة حيث مناسبة المولد النبوي الشريف، تنتشر الكثير من الرسائل (سواء بالصوت فقط أو بالصوت والصورة)، وتنشط بشكل مكثف لتحذر من الصوفية، أو ترد على السلفية المعارضين للاحتفال بالمولد النبوي.

وفي شهر محرم من كل سنة حيث عاشوراء تنتشر الكثير من الرسائل وتنشط بشكل مكثف لتحذر من الشيعة أو ترد على من يعترض على ذلك، ومن يتصفح بعض المواقع الإلكترونية حتى ولو كان الأمر صدفة، يكتشف من خلال بعض العناوين المثارة في الموقع أو

الصفحة، الجهة المشرفة والمؤسسة للموقع دون بذل مجهود أو عناء، فقط من لغة العناوين التي تسب أو تشتم أو تشّمت وتنتقص من جهة معينة.

والواقع يكشف أن الأمر ليس حبيس العالم الافتراضي بل هي عصبية واقعة ومتجذرة في نفوس الأفراد، تظهر من خلال نقاشات وسجالات يومية، حتى بين أفراد الأسرة الواحدة إذا اختلفت توجهاتهم، وأصبحت تذكيها وسائل التواصل الاجتماعي بشكل كبير، بعدما أضحت الشبكة المعلوماتية (الانترنت) فضاء عاما، يسهل على الجميع طرح أفكاره ومعتقداته دون حسيب ولا رقيب؛ مما شجع الفرق المتعادية على إعلان عداوتها وتجديدها بمناقشة نقط الاختلاف ونسبة الصواب للنفس والخطأ للغير دوما.

في ظل هذا الواقع قويت رغبتي للكتابة في هذا الموضوع: "دور وسائل التواصل الاجتماعي في تأجيج العصبية المذهبية"، بعد أن طغت الظاهرة على كثير من المواقع، والصفحات والمدونات، كمحاولة لتسليط الضوء على هذه الآفة المقيتة لتبيين أضرارها، ونتائجها على الأمة، وكيف ساهمت هذه الوسائل في تأجيج نار العصبية المذهبية؟ ولمعرفة هل تعتبر المواقع ذات الطابع المذهبي مواقع تواصل؟ وماهي التدابير الوقائية للحد من آثار هذه الآفة؟ .

خطة البحث:

قسمت موضوع البحث إلى:

-مقدمة: تحدثت فيها عن أسباب اختيار الموضوع، وأهميته، وأهدافه، وأسئلته .

1.تعريف المصطلحات: التعصب، التعصب المذهبي، وسائل التواصل الاجتماعي.

2.بعض نماذج التعصب المذهبي على هذه المواقع .

3.نتائج هذه المواقع على الأمة الإسلامية.

4.التدابير الوقائية للحد من آثار التعصب المذهبي على هذه المواقع .

-خاتمة تحدثت فيها عن أهم نتائج البحث.

تمهيد:

أثرت الشبكة العنكبوتية تأثيرا إيجابيا في تيسير سبل الحياة، إلا أن هذا اليسر وهذا الدور الإيجابي ليس مطلقا بل مقيدا بظروف وطرق ونوع الاستعمال ووقته أيضا، خدمت هذه الوسائل مجالات العلم والعمل والمعرفة بتيسير سبل التعلم والبحث، ومجال الدين بتيسير أمور الدعوة إلى الله وأعمال البر والخير، لكن استغلت ضده سواء بقصد أو من دونه في عدة مجالات، منها: النيل من مصداقيته من طرف الأعداء كما أبنائه لنشر الفرقة والبغضاء بشتى الطرق والوسائل، وعلى رأسها إنشاء مواقع لخدمة هذه الأهداف؛ فطفحت الشبكة العنكبوتية بمواقع مختلفة التوجهات، بعضها من إنشاء الطوائف الشيعية، وبعضها من إنشاء الطوائف السنية... اعتزت كل فرقة باختياراتها مع تخطئة اختيارات الآخرين؛ فأصبح ﴿كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ﴾ [1]، كل موقع يدافع عن مذهب من أنشأه سواء كان فردا أو جماعة، مصرحا برفضه وعدائه للاتجاهات والمذاهب الأخرى؛ لأنه وحده الحق والصواب؛ فطغت لغة العنف على هذه المواقع تكريسا للعصبية المذهبية، مع العلم أن الحقيقة المطلقة لا يملكها أي طرف، فجلها تملك جزءا منها ووجها من وجوهها والجزء الباقي يحتمل الصواب والخطأ.

وبما أنه يجب على كل باحث قبل الخوض في موضوعه، أن يشرح مصطلحات العنوان الذي اختاره، وبما أن عنوان الموضوع "دور وسائل التواصل الاجتماعي في تأجيج العصبية المذهبية"، كان لزاما علي شرح معنى وسائل التواصل الاجتماعي، وتعريف معنى التعصب المذهبي.

1. تعريف المصطلحات:

1.1 معنى التعصب:

أ_التعصب لغة: قال ابن منظور: التعصب: من العصبية. والعصبية: أن يدعو الرجل إلى نصرة عصبته والتآلب معهم على من يناوئهم ظالمين كانوا أو مظلومين. وقد تعصبوا عليهم إذا تجمعوا، فإذا تجمعوا على فريق آخر قيل: تعصبوا. والعصبي من يعين قومه على الظلم، العصبي هو الذي يغضب لعصبته ويحامي عنهم.

والعصبة: الأقارب من جهة الأب لأنهم يعصبونه ويعتصب بهم، أي يحيطون به ويشتد بهم. وفي الحديث:{ليس منا من دعا إلى عصبية أو قاتل عصبية}. العصبية والتعصب: المحاماة والمدافعة. وتعصبنا له ومعه: نصرناه[2].

وفي المعجم الغني: تعصب: مادة: [ع ص ب]. (مصدر تَعصب) . أَظهر تعصبا لصاحبه: كَان مناصرا له بشدة، يقال هو شديد التعصب لأفكَاره: شديد التعنت، لا يتنازل عنها ولَوْ مع ظُهور بطلانهَا، وينْظر إليها بإعجاب شديد[3].

ب_تعريف التعصب اصطلاحا:

قال الشوكاني: التعصب: هو ما يصيب المتعصب من عمى وصمم عن رؤية الحق.[4]

ويمكن تعريف التعصب بأنه: شعور داخلي يجعل الإنسان يتشدد فيرى نفسه دائما على حق ويرى الآخر على باطل بلا حجة أو برهان. ويظهر هذا الشعور بصورة ممارسات ومواقف متزمتة ينطوي عليها احتقار الآخر وعدم الاعتراف بحقوقه وإنسانيته.[5] ومن الشواهد لهذا التعريف أذكر ما قاله الحافظ ابن عبد البر الأندلسي أثناء مناقشته مسألة فقهية :"...وهو أصل صحيح لمن أُلهم رشده ولم تمل به العصبية إلى المعاندة " [6]. اعتبر دليل المسألة التي يناقشها أصلا صحيحا لها لمن كان منصفا عاقلا في بحثه عن الدليل، أما المتعصب فمن شأنه الميل للمعاندة وعدم قبول الحق.

من خلال هذه التعاريف، يتبين أن المعنى الاصطلاحي لا يبعد عن المعنى اللغوي الذي يدور حول الشدة والغلظة والزيغ عن الحق، فيمكن القول: إن التعصب بؤرة السلبيات كلها. فهو يحمل في طياته البغض، والكراهية، والحقد، والكذب، وتزوير الحقائق العلمية، والتحجر، والانغلاق على الذات، وضيق الأفق، ورفض الآخر، وانعدام الثقة في الآخر...

والتعصب أنواع، وكل الأنواع مذمومة إلا التعصب للحق. ومنها: ادعاء النصارى في عيسى أنه ابن الله، أو ثالث ثلاثة، وقول اليهود والنصارى: ﴿نحن أبناء الله وأحبَّاؤه﴾[7]، كما حكى الله عنهم في القرآن. ومنه قول النضر بن الحارث عن القرآن الكريم: ﴿ اللهَمَّ إن كانَ هذا هو الحقُّ من عنْدكَ فأمْطرْ علَينَا حجَارةً من السماء أو ائتنَا بعَذاب أليم﴾[8]. ومنه التعصب لمذهب من المذاهب

الفرعية. ومنه التعصب لطريق من الطرق الصوفية[9]. وهذا الرأي يؤكد أن التعصب المذهبي من الأنواع المذمومة. فما معنى التعصب المذهبي؟.

ج_معنى التعصب المذهبي:

التعصب المذهبي: هو التعصب نصرة للمذهب الذي اختاره الشخص لنفسه في مقابل رفضه وتبخيسه لكل المذاهب الأخرى، مدعيا الكمال والصواب لما اختاره، والضلال والهلاك لما اختاره غيره.

والتعصب المذهبي قديم جدا عرفته الأمة الإسلامية منذ القرن الهجري الأول، أثناء ما سمي بالتحكيم بعد قتال علي كرم الله وجهه ومعاوية، وانقسام الصحابة حولهما بين مؤيد ومعارض أو خارج عن حكمهما هما الاثنين، فأصبح المسلمون فرقا: خوارج، وسنة، وشيعة. فتعصب كل فريق لاختياراته، لتتوالى الانقسامات كما العصبيات التي أدت إلى التقاتل والتنابز بالألقاب، والخصومات بين المسلمين على مر السنين وإلى يوم الناس هذا. ونظرا لاستمرارية مشاكله وآثاره السلبية منذ ظهوره وإلى اليوم، شكل عبئا ثقيلا استعصى على الأمة التخفيف من حدة نتائجه، فكان أحد أسباب تخلفها وتقهقرها وتراجعها، وما نراه ونسمعه على هذه الوسائل خير دليل.

2.1 وسائل التواصل الاجتماعي:

هي: "عبارة عن مواقع إلكترونية أو تطبيقات برمجية صممت خصيصاً لتوفير خدمة التواصل بين المستخدمين المسجّلين عبر تلك المواقع أو التطبيقات من خلال اسم مُستخدم خاص بهم أو رقم هاتف أو بريد إلكتروني، ولا يتم هذا التواصل إلاّ بوجود خطوط اتّصال عبر شَبكة الإنترنت"[10].

كما تَعرَّف شبكات التّواصل الاجتماعي: (Social Networks) "على أنّها مواقع إلكترونيّة مبنيّة على أُسُس مُعيَّنة؛ تُمكّن النّاس من التّعبير عن أنفسهم، والتعرُّف على أشخاص آخرين يشاركونهم الاهتمامات نفسها، ويمكن القول بأنَّ شبكات التّواصل الاجتماعي هي عبارة

عن مجتمعات افتراضيّة تُمكّن مُستخدميها من مشاركة الأفكار والاهتمامات، بالإضافة إلى تكوين صداقات جديدة"[11].

2. بعض نماذج التعصب المذهبي على هذه المواقع:

1.2 نموذج الصراع السلفي الصوفي:

ومن الأمثلة على هذا النموذج: جعل أحد الأشخاص حسابه على الفايسبوك باسم "الصوفية تحت المجهر"، ولا ينشر في حسابه إلا ما يسيء إلى الصوفية، وحتى الصورة الرمزية (البروفايل) عبارة عن قول العلامة عبد الله بن باز في بدع الطرق الصوفية. يكثر من نشر صور الأضرحة واحتفالات الصوفية مع عبارات من قبيل" لا صوفية في الإسلام"، "لا للاحتفال بالمولد النبي". كتابة الآية الكريمة فوق صور الأضرحة {لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد}. نشر مرة صورة وعلق عليها ب"الصوفية عبادة الشيوخ"[12].

و في حساب آخر باسم عدنان نون[13] Adnan Noon على الفايسبوك، صورة الشيخ عز الدين القسام وكتب تعليقا على السورة" أحد مجرمي الصوفية تيجاني الطريقة".

وفي الجهة المقابلة مثلا أذكر: حساب على الفايسبوك باسم ahmad haydoub [14]طرح سؤالا: هل نجاسة الوهابي مادية أم معنوية ظاهرة أم باطنة، هل هو نجس بذاته أم بصفاته نتيجة أعمال؟ وأجاب جوابا مطولا قسم فيه الوهابية إلى متعلمين وهم الأكثر نجاسة في نظره. والقسم الثاني: المستفيدين ماديا ومعنويا يساندون المذهب الوهابي لأسباب سياسية. والقسم الثالث: العامة من الوهابية نجاستهم أقل من سابقيهم.

والأمثلة كثيرة جدا أكتفي بهذه النماذج قصد البيان فقط.

2.2 نموذج من الخلاف السني الشيعي على مواقع التواصل:

نشر موقع "المصري اليوم"[15] موضوعا بعنوان "حرب الصوت والصورة بين المواقع السنية والشيعة على الإنترنيت" في هذا المقال، أشار الكاتب إلى أنباء عن اختراق مجموعة من قراصنة

الإنترنيت "الهاكرز" ثلاثة منتديات ومواقع إلكترونية شيعية توعدت بتكوين مجموعة مضادة لرد العدوان على مواقعها باختراق مواقع سنية. ووصل الأمر إلى حد تهديد كلا الطرفين بشن حرب لتدمير منتديات ومواقع الطرف الآخر عبر بيانات تناقلتها عدة مواقع الكترونية سنية وشيعية.

ونشر على حساب "الصوفية تحت المجهر"[16] عنوان" أجمل خبر صباحي": حريق إذاعة الكوثر، تجاوزت خسائره 4 مليار جنيه (المصدر حسبه صحف اليوم)، وختم بدعاء اللهم زدهم خسائر. وحصلت هذه الشماتة على إعجاب الكثيرين.

ونشر في أحد المنتديات السلفية موضوعا بعنوان" مواقع سنية للرد على الضلالات الشيعية"[17]، شمل هذا الموضوع لائحة لعدة مواقع معنونة باختصاصاتها. فالمختصة في الرد على الإمامية حوالي 40 موقعا، منها مثلا موقع فيصل نور الحقائق الغائبة، وشبكة الدفاع عن السنة، وحوارنا الإسلامي، وموقع السرداب، وموقع البينة وغيرها كثير.

مواقع للرد على الفرق المخالفة لمنهج أهل السنة والجماعة، منها: موقع الراصد، وموسوعة الفرق، والملل والنحل، وشبكة الرد نت، وموقع مذاهب معاصرة، وحقيقة الوهابية وغيرها.

منتديات للرد على الشيعة ومنها: منتدى المنهج، ومنتدى سفينة النجاة، ومنتدى حوار الأديان، ومنتدى الساحة الإسلامية...ثم صوتيات ومرئيات في الشيعة، وصوتيات شبكة أنصار، ومرئية شبكة أنصار، وصوتيات شهيد كربلاء...

وانطلاقا من هذه العناوين الكثيرة التي طغت عليها لغة التسفيه للرأي المخالف دوما، يتضح بجلاء سيادة التعصب المذهبي وطغيانه على معظم خطابات هذه المواقع التي تدعي امتلاك الحقيقة، وبالتالي مشروعية التنقيص من مبادئ وأفكار الآخرين كهدف أسمى، وليس البحث عن أسس الاتفاق والوحدة بنبذ أو على الأقل تجاوز الفروع المختلف فيها وهي قليلة في مقابل الأصول المتفق عليها وهي كثيرة.

3. نتائج مثل هذه المواقع وأمثالها على الأمة الإسلامية:

1.3 انتشار العنف اللفظي:

أضحت هذه المواقع من أهم وسائل نشر التعصب بأنواعه، وممارسة الإقصاء والرفض للآخر، كنتيجة لما يعيشه العالم من اضطرابات ومحن، خاصة ما تعلق بالبلدان الإسلامية التي تاه وحار أبناؤها في تشخيص واقعهم، وبالتالي عجزهم عن إدراك سبب معاناتهم، وحتى إن عرفوا السبب عجزوا عن معرفة الحل؛ لذا ازداد توترهم وعنفهم اللفظي ضد بعضهم البعض؛ مما أدى إلى ظهور لغة قاسية عنيفة بعيدة عن اللباقة والحوار الهادئ على العديد من مواقع التواصل الاجتماعي، كشفت عن عدم استعداد بعض الفئات للاستفادة من هذه النقلة النوعية في عالم الاتصال.

كما كشفت عن كثير من العيوب الناتجة عن غياب العدالة الاجتماعية: منها العنف بأنواعه والإقصاء والتهميش ورفض الآخر، فسهل على كل فئة وطائفة أن تتهم الأخرى بنعوت وأوصاف لا يحل لأي منها أن تصف بها غيرها ما دامت في دائرة المسلمين الذين هم إخوة في الدين، تجمعهم عقيدة واحدة، وقبلة واحدة، وأحيانا لغة واحدة. ومع ذلك يتلفظون بكلام لا يدل إلا على العنف والتعصب للذات وللجماعة لا غير، وكل من خالفهم على باطل وهم وحدهم على حق. فأصبح كل إناء بما فيه ينضح، فلا تسمع ولا تقرأ في أغلب هذه المواقع علما ولا فكرا متنورا، بل السب والشتم والتكفير والتجريح للمخالف نصرة للمذهب لا نصرة للحق.

مع أن الإسلام كدين سماوي اشتمل على كثير من النصوص القطعية الداعية إلى الأخلاق الحميدة، ونصوص تحرم وتنهى عن السب والشتم والتنقص من الآخرين حتى مع الأعداء، ما بالك بالإخوة مع بعضهم البعض، ومنها قوله تعالى: ﴿ يا أيُّها الّذين آمنُوا لا يَسخر قومٌ من قومٍ عسى أَنْ يكُونُوا خيرا منهم، ولا نساءٌ من نساء عسى أنْ يكُنَّ خيرا منهنَّ، ولا تَلْمزوا أَنفسكُم ولا تَنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفُسوق بعد الإيمان، ومن لم يتب فأُولَئك هم الظّالمون﴾. نهى تعالى عن السخرية بالناس وهو احتقارهم والاستهزاء بهم...ولا يطعن بعضكم على بعض... ولا تداعوا بالألقاب وهي التي يسوء الشخص سماعها".[18] فالسلفية يسوءهم لقب الوهابية. والصوفية يسوءهم لقب القبوريين. والشيعة يسوءهم لقب أبناء الزنا (كناية عن زواج المتعة).

كما أنه حوى من المبادئ والأحكام ما جعله صالحا لكل الناس ولكل زمان ومكان، بدل الأوائل وسعهم في فهمه وتدبره لتنزيل نصوصه وأحكامه على نوازلهم وحوادثهم، إيمانا منهم بكماله وتمامه بدليل قوله تعالى:﴿ اليوم أكملت لكُمْ دينَكُمْ وأتْمَمتُ عَلَيْكُمْ نعمتِي ورضيتُ لكُمُ الإسلامَ دينًا﴾[19]. وبما أن هذه الآية خطاب لجميع الأمة من أولها إلى آخرَها، إشعارًا لها وإثباتا بتمام وكمال نعمة دين الإسلام الذي ارتضاه الله لأمته، لم يجعلوا فهومهم هي المكملة لهذا الدين، لذا لم يلزموا غيرهم باتباعها ليقينهم بأنها ليست القول الفصل الذي يجب على الناس التزامه في كل العصور والأزمان، بل القول الفصل هو لله ولرسوله ﷺ وما عداها من الأقوال فيها المقبول والمردود، لذا أوصوا بعدم تقليد أقوالهم والتعصب لها لكونها إنتاج بشري يتغير بتغير الظروف.

ومع ذلك ظهر من قلدهم وتعصب لاجتهاداتهم، وجعل أقوالهم هي الحقيقة المطلقة والسلطة العليا في العلم والعمل، فأغلقوا باب الاجتهاد سدا للذرائع حسب زعمهم، مع أنه باب فتحه الله عز وجل بجعله ضرورة وفرض كفاية في كل عصر، لكن خالفوا الله في هذا الأمر بتعصبهم وجمودهم، ولم يكتفوا بذلك بل عملوا على نصرة تعصبهم بكل الطرق، فكان أنسبها في عصرنا الحاضر إنشاء مواقع نصرة للمذهب، فظهرت مواقع وصفحات ومدونات كثيرة لا مهمة ولا دور لها سوى إثارة الخلاف بين فقهاء الإسلام في الفروع؛ لتوسيع نقاط الخلاف بين المسلمين عموما، وشغلهم بتلك الخلافات السطحية لإثارة النعرات والفتن بين المتتبعين لهذه المواقع ضد أتباع المذاهب الأخرى، ليس خدمة للدين ولا للمذهب كما العناوين التي يصرحون بها، ولكن خدمة لمشروع التفرقة، سواء قصدوا ذلك وتعمدوه، أو كان نتيجة الجهل والحمية العصبية فقط، متناسين ومتجاهلين قوله ﷺ: {المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره}[20]. منقادين لكل ما يراد ويخطط لهم في غفلة وجهل منهم من طرف من يقتات على تمزيق الأمة.

2.3 إحياء العمل بالعديد من النصوص الموضوعة المنسوبة إلى رسول الله ﷺ والمختلف فيها:

تنشط في هذه المواقع مجموعة من النصوص المكذوبة على رسول الله نصرة للمذهب افتراء على رسول الله ﷺ، فكما نشط المتعصبة السابقون في وضع أحاديث نصرة للمذهب، ينشط المعاصرون في إحياء العمل بهذه النصوص نصرة للمذهب المرتضى، مدحا وإعلاء لمكانة صاحب المذهب وذما للمذاهب الأخرى، مستغلين هذه الوسائل الحديثة التي في الحقيقة لم تكن لنا كأمة مسلمة في هذا الجانب وسائل تواصل بقدر ما كانت وسائل قطيعة وتعميق الهوة والفجوة بيننا أكثر فأكثر، ووسائل للتفريق والتمزيق لكل جامع بين أبناء الأمة الإسلامية.

فكان من نتائج العلاقة بين التعصب المذهبي والافتراء على رسول الله، أن أصبح هذا النوع من التعصب عاملا من عوامل تقويض وحدة الأمة الإسلامية وزيادة تفرقها؛ بوجود أحاديث مكذوبة تعلي من قيمة المتعصب لذاته، في مقابل أحاديث تتنقص من قيمة ومكانة الآخر ولو كانا ينتميان لدين واحد ولغة واحدة، يعمل المتعصب على إعلاء رأي إمامه ولو كان خطأ في مقابل دوس رأي إمام آخر ولو كان متين الحجة قوي الدليل، وبالتالي نشر العداوة والبغضاء بين أبناء الأمة الواحدة بحجة:

"اختلاف أمتي رحمة" مع أنه نص لم يصح سندا ولا متنا كما أشار لذلك العلامة ابن حزم معتبرا إياه ليس بحديث بقوله:" وهذا من أفسد قول يكون، لأنه لو كان الاختلاف رحمة لكان الاتفاق سخطا وهذا ما لا يقوله مسلم، لأنه ليس إلا اتفاق أو اختلاف، وليس إلا رحمة أو سخط، وأما الحديث المذكور فباطل مكذوب من توليد أهل الفسق لوجوه ضرورية. أحدها أنه لم يصح من طريق النقل. والثاني: أنه ﷺ لم يجز أن يأمر بما نهى عنه".[21] كذلك العلامة أحمد بن الصديق الغماري حكم على هذا الحديث بالوضع واعتبره من الأحاديث المشتهرة على الألسنة بالرغم من ضعفها وبطلانها وعدم صحتها سندا ولا متنا.[22] وكذا العلامة عبد العزيز بن الصديق الغماري عد الحديث من الأحاديث التي لا أصل لها ولا سند لها مطلقا وإنما ذكرت فقط في كتب الفقه مجردة عن ذكر الراوي" وهذا أضعف الضعيف"[23]. ورد الشيخ الألباني الحديث أيضا بقوله:

"لا أصل له، ولقد جهد المحدثون في أن يقفوا على سند فلم يوفقوا، حتى قال السيوطي في الجامع الصغير: (ولعله خرج في بعض كتب الحفاظ التي لم تصلنا). وعلق الألباني على قول السيوطي بقوله:" وهذا عندي بعيد، إذ يلزم منه أنه ضاع على الأمة بعض أحاديثه ﷺ وهذا ما لا يليق بمسلم اعتقاده"[24].

وبحجة أنا على حق وغيري على باطل، ونحن الفرقة الناجية وباقي الفرق في النار مستندين على الحديث المختلف فيه سندا ومتنا من طرف علماء الحديث قديما وحديثا خاصة الزيادة الموجودة في آخره؛ مما جعل هذا الحديث بؤرة الخلاف وأساسها بين كل الفرق، كلها تدعي أنها المقصودة بالفرقة الناجية وباقي الفرق في النار. ولبيان ذلك وجب ذكر الحديث وبعض أقوال العلماء فيه، وسأكتفي بقول الشيخ القرضاوي الذي لخص كثيرا مما قيل فيه من طرف السابقين.

حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ يَعْنِي الْمَاجِشُونَ، عَنْ صَدَقَةَ بْنِ يَسَارٍ، عَنِ النُّمَيْرِيِّ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: { إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ افْتَرَقَتْ عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَأَنْتُمْ تَفْتَرِقُونَ عَلَى مِثْلِهَا، كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا فِرْقَةً}[25] .

قال الدكتور يوسف القرضاوي عن الحديث:" أول ما ينبغي أن يعلم هنا: أن الحديث لم يرد في أي من الصحيحين، برغم أهمية موضوعه، دلالة على أنه لم يصح على شرط واحد منهما. وما يقال من أنهما لم يستوعبا الصحيح، فهذا مسلّم، ولكنهما حرصا أن لا يدعا بابا مهمًّا من أبواب العلم إلا رويا فيه شيئا، ولو حديثا واحدا. إن بعض روايات الحديث لم تذكر أن الفرق كلها في النار إلا واحدة، وإنما ذكرت الافتراق وعدد الفرق فقط. وهذا هو حديث أبي هريرة الذي رواه أبو داود[26] والترمذي وابن ماجه[27] وابن حبان[28] والحاكم[29]، وفيه يقول:{افترقت اليهود على إحدى . أو اثنتين . وسبعون فرقة، وتفرقت النصارى على إحدى . أو اثنتين . وسبعين فرقة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة} والحديث . وإن قال فيه الترمذي: حسن صحيح، وصححه ابن حبان والحاكم . مداره على محمد بن عمرو بن علقمة بن وقاص الليثي، ومن قرأ ترجمته في (تهذيب الكمال)[30] للمزي وفي (تهذيب التهذيب)[31] لابن حجر: علم أن الرجل متكلم فيه من قبل حفظه، وأن أحدا لم يوثقه بإطلاق، وكل ما ذكروه أنهم رجحوه على من هو أضعف منه؛ ولهذا لم

يزد الحافظ في التقريب على أن قال: صدوق له أوهام. والصدق وحده في هذا المقام لا يكفي، ما لم ينضم إليه الضبط، فكيف إذا كان معه أوهام؟؟!.

ومعلوم أن الترمذي وابن حبان والحاكم من المتساهلين في التصحيح، وقد وصف الحاكم بأنه واسع الخطو في شرط التصحيح. وهو هنا صحح الحديث على شرط مسلم، باعتبار أن محمد بن عمرو احتج به مسلم، ورده الذهبي بأنه لم يحتج به منفردا، بل بانضمامه إلى غيره. على أن هذا الحديث من رواية أبي هريرة ليس فيه زيادة: أن الفرق "كلها في النار إلا واحدة" وهي التي تدور حولها المعركة. وقد روي الحديث بهذه الزيادة من طريق عدد من الصحابة: عبد الله بن عمرو، ومعاوية، وعوف بن مالك، وأنس، وكلها ضعيفة الإسناد، وإنما قووها بانضمام بعضها إلى بعض.

والذي أراه: أن التقوية بكثرة الطرق ليست على إطلاقها، وخصوصا عند المتقدمين من أئمة الحديث، فكم من حديث له طرق عدة ضعفوه، كما يبدو ذلك في كتب التخريج، والعلل، وغيرها! وإنما يؤخذ بها فيما لا معارض له، ولا إشكال في معناه. وهنا إشكال أي إشكال في الحكم بافتراق الأمة أكثر مما افترق اليهود والنصارى من ناحية، وبأن هذه الفرق كلها هالكة وفي النار إلا واحدة منها. وهو يفتح بابا لأن تدعي كل فرقة أنها الناجية، وأن غيرها هو الهالك، وفي هذا ما فيه من تمزيق للأمة، وطعن بعضها في بعض، مما يضعفها جميعا، ويقوي عدوها عليها، ويغريه بها.

ولهذا طعن العلامة ابن الوزير في الحديث عامة، وفي هذه الزيادة خاصة، لما تؤدي إليه من تضليل الأمة بعضها لبعض، بل تكفيرها بعضها لبعض. قال رحمه الله في (العواصم والقواصم) وهو يتحدث عن فضل هذه الأمة، والحذر من التورط في تكفير أحد منها، قال: وإياك والاغترار بـ "كلها هالكة إلا واحدة" فإنها زيادة فاسدة، غير صحيحة القاعدة، ولا يؤمن أن تكون من دسيس الملاحدة!.

وعن ابن حزم: أنها موضوعة، غير موقوفة ولا مرفوعة، وكذلك جميع ما ورد في ذم القدرية والمرجئة والأشعرية، فإنها أحاديث ضعيفة غير قوية. إن من العلماء قديما وحديثا من رد الحديث من ناحية سنده، ومنهم من رده من ناحية متنه و معناه[32].

وحتى مع وجود كثير من الأقوال الطاعنة في الحديث سندا ومتنا لا زال السلفية[33] يعتبرون أنفسهم هم المقصودون وحدهم بالحديث، وبالتالي هم أهل الحقيقة والبرهان، وكذا الشيعة الإمامية[34] بأنهم الفرقة الناجية وباقي الفرق في النار وكذا الصوفية[35]؛ مما جعل الحديث نقطة تنازع وخصومة بين جميع الفرق والمذاهب، وهو أمر يبعث على الحيرة والاضطراب لكل من يسمع هذا النص. وجل مواقع هذه الفرق تنشر مؤلفات ومقالات عن كونها المقصودة بالحديث، مجتهدة في إبداء الأدلة لإثبات تلك الحقيقة حسب زعمها ونسف أدلة الفرق الأخرى.

فلا يخلو موقع من هذه المواقع من عناوين مثل رد الافتراءات، ورد الشبهات، وردود وتعليقات، والرد على الشيعة، والرد على الوهابية، والرد على الصوفية...والتبرئة من انتساب كذا إلى الأشاعرة/ الصوفية...وغيرها من العناوين التي أصبحت منفرة حقا وتثير الاشمئزاز من وضعنا، من حالنا، وتضعنا أمام سؤال: متى نستيقظ؟ ومتى نتوقف؟ "ومن له أدنى مسكة من عقل أو تمييز يستبعد أن تكون الفرقة الناجية من أمة سيدنا محمد ﷺ محصورة في طائفة بعينها كالسلفية مثلا أو جماعة الإخوان أو غيرها من الجماعات التي ترفع عقيرتها بأنها الفرقة الناجية، وعليه فلا يكاد يخلص من هذه الأمة إلا مثل همل النعم"[36]. وهذا يناقض ما قاله ﷺ عن دخول الجنة لكل من تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله موقنا بها.

3.3 ظهور ما يمكن أن يسمى بفقهاء العالم الافتراضي:

فقهاء العالم الافتراضي هم فقهاء مجهولون، لا تعلم مكانتهم العلمية، ولا أماكن نشرهم العلم، ولا مقر عملهم، ولا مصادر معارفهم ومعلوماتهم، أي فقهاء وعلماء قد يفتقدون لأي مرجعية دينية وأي سند شرعي متعارف عليه لدعم أفكارهم وأقوالهم التي تتم في إطار النشر المتخفي، أي الذي لا يحمل توقيع أي عالم، مما يخفي حقيقته وخلفيات أصحابه.

فقد تكون من ضابط مخابرات إسرائيلي[37] كما يفعل أفيخاي أدرعي صاحب صفحة مزورة باسم عائشة أم المؤمنين، كما قرأت في أكثر من تدوينة ومقال، لكن سأكتفي بمثال واحد:"عاد الصهيوني أفيخاي أدرعي إلى منزله وخلع ملابسه العسكرية وتناول زجاجة ويسكي وصب أول كأس ثم فتح صفحته المزورة التي يسميها عائشة أم المؤمنين على فيسبوك وكتب: هل عمر ابن

الخطاب أحق بالخلافة أم علي بن أبي طالب؟ ثم شرب من كأسه وانتظر التعليقات. التعليق الأول؛ أبو الفضل من العراق قال:"عمر بن الخطاب سرق الخلافة ولا يستحقها". وجاء الرد من أبي بكر من السعودية "أكيد سيدنا عمر أحق وأنت يا عراقي يا رافضي، أنت أشد عداء لأهل السنة من اليهود." وأضاف المعلق "تبسم أفيخاي وشرب كأسه حتى قرأ تعليقا ثالثا من مصري: "عمر قاهر الشيعة والمجوس". وبدأت الردود تتوالى، الشيعة يسبون السنة والسنة يسبون الشيعة" وختم المعلق تدوينته: "أقفل أفيخاي زجاجة الويسكي وتمدد على الكنبة وتبسم وأخذ قيلولة وهو مطمئن على مستقبل دولته طالما أن هناك الكثير من الحمقى العرب"[38].

كما قد تكون من ملحد أو علماني أو مسلم متطرف متشدد سني أو شيعي وما إلى ذلك من احتمالات؛ مما جعل هذه الوسائل سيفا ذا حدين، قد تكون لصالح المتلقي كما قد تكون ضده بما تثيره من قضايا خلافية ومشاكل نتيجة ما بثته ونشرته من معلومات مبثورة مجهولة المصادر. وقد تكون مستندة على أحاديث مكذوبة موضوعة لا تصح سندا ولا متنا، وهو ما نراه ونشاهده على مدار اليوم والساعة على مواقع التواصل الاجتماعي، حيث تصلنا أحاديث تنسب لرسول الله وهي مخالفة لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ يجهل من أرسلها ابتداء، ومع ذلك انتشرت انتشار النار في الهشيم دون أن يعلم الفقيه الذي أفتى بها ولا المحدث الذي روى الحديث، إذ لا تزيد على تقديم الحديث بعبارة قال رسول الله ﷺ وذكر نص قد يعلم وضعه من ألفاظه أحيانا وركاكة أسلوبه، وكم الوعود التي قد تحصل إن تم نشره والعمل به؛ مما يخالف سنة رسول الله وطريقته في الحديث. وكذا بعض التحذيرات من الشيعة أو الصوفية أو السلفية...مع الوصف بأقذع النعوت والأوصاف كأنهم ليسوا مسلمين كما يرد في كثير من الرسائل أو الفديوهات.

ومن هنا لا يجب الاستماع ولا الاقتناع بأقوال رسائل كل من هب ودب من فقهاء نجهل اسمهم، ومكانتهم وشيوخهم وكل شيء عنهم، وعلومهم إن كانت لهم علوم ولم يكونوا فتانين ووضاعين جدد يسعون إلى التشويش وبلبلة عقيدة شباب هذه الأمة، إذا علمنا أن أغلب رواد مواقع التواصل الاجتماعي هم شباب أصبحوا يأخذون دينهم من الشيخ "غوغل" والشيخ "الواتساب" وغيرهما من الوسائل. وهذا طبعا يعود إلى الجهل بالدين ولسهولة استخدام هذه

الوسائل. فما على الشاب سوى تشغيل حاسوبه أو هاتفه حتى يصل للمعلومات التي يريد وفوق ما يريد، ومن جهات مختلفة قد تختلف معه وقد تتفق معه في المذهب وغيره، مما قد يشكل بلبلة وتشويشا لديه بسبب اختلاف الآراء الفقهية وبسبب غياب مصدر المعلومة، لكون صاحبها فقيها أو محدثا في العالم الافتراضي.

4.3 طغيان ظاهرة التكفير والتكفير المضاد:

إن من نتائج انتشار الخطاب التعصبي على كثير من المواقع إحياء ظاهرة التكفير والتكفير المضاد بين الفرق المختلفة وزيادة انتشارها؛ نظرا للاختلاف حول" كلمة التوحيد". فعند فئة قد لا تعني شيئا، وعند فئة أخرى قد تعني كل شيء، فهي عصمة النفس والمال... وعند فئة أخرى تعني أولا وقبل كل شيء التوحيد الخالص وما يتبعه من علم وعمل، هذا مع أنهم مسلمون كلهم، وكل فئة تعتبر نفسها على حق، لكن بعضها لا تكتفي بذلك بل تعتبر نفسها المالكة للحقيقة والممثلة الوحيدة عن الله في الأرض، وما عداها على ضلال الشرك والخرافات والبدع.

وهكذا يجب تنفيذ حكم الردة والخروج عن الملة فيهم من طرف الممثلين عن الله استجابة لتنفيذ أحكامه، وابتغاء لمرضاته حسب زعمهم، باعتبار أن فتوى هدر الدم تستند لشرعية ربانية المصدر. فهم المالكون لحق تنفيذها تبعا لامتلاكهم للحقيقة والصواب، فنصبوا أنفسهم أوصياء على الدين، بعدما غيروا مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من ثقافة "الإنكار" التدريجية اعتبارا للشرعية، باليد لمن هو أهل لذلك من ولاة الأمر، وباللسان للعالم العارف، وبالقلب لعموم الناس، كقاعدة مستخلصة من الحديث النبوي: {من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان}[39]، إلى ثقافة "الإهدار" الفوري دون اعتبار لمشروعية القيام بذلك أم لا.

فبمجرد إعلان رأي مخالف حتى ولو كان رأيا في مسألة تاريخية ثبتت عن طريق البحث والقرائن والحجج الدامغة فهي مرفوضة لكون من أعلنها من غير فرقتي. فكل ما يسمعه ويراه هو كونه مخالفا له، فمن ثم التسرع في تكفيره دون ضوابط ولا حدود. ."وهكذا يسيطر جو من الإرهاب الفكري، يشل التفكير، ويحاصره، ويحرم عمليات التقويم، والنقد والمراجعة، وبذلك يكرس

الانحراف، وتعطل حسبة الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، التي بها خيرية الأمة وامتدادها وتستمر ممارسة الخلط بين الدين المعصوم والتدين الذي يجري عليه الخطأ والهوى والصواب، وتتسع دوائر الانحراف وتحاصر قيم الدين الخالدة المطلقة بفهوم البشر النسبية القاصرة، وتنتقل القدسية من قيم الكتاب والسنة إلى آراء البشر وتصبح الفهوم البشرية المتفاوتة، هي مصادر الدين والتدين.

وبذلك يفترق أمر الدين، ليصبح أديانا، وشيعا، وأحزابا"[40]، في ظل نصوص عديدة تدعو للوحدة وأدلة أخرى صريحة تنهى عن التسرع في التكفير، ومنها قوله تعالى: ﴿ ولاَ تَقُولُوا لمن أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَمَ لَسْتَ مؤمنًا تبتغونَ عرضَ الْحَياة الدُّنْيا فَعنْدَ الله مغانمُ كَثيرةٌ﴾[41]، دليل على مَنع امتلاكَ الشرعية أو الإيمان مَن فئة محدودة من الناسَ، لأن هَذا الحَكم لا ينَتهي فقط بلفظ التكفير بل له توابع وملحقات تخصه في الدنيا والآخرة.

ففي الدنيا: أصبح دمه مهدورا، وماله مصادرا، ومن الزواج بالمسلمة ممنوعا، ومن أحكام المسلمين مجردا في حياته كما مماته. وفي الآخرة حكم عليه بدخول النيران وربما بالخلود فيها. "فحري بكل مسلم يحرص على حقن دماء المسلمين أن يتوقف عن تكفير أحد ممن يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله. ويكل أمر سريرته إلى خالقه جل جلاله. متذكرا قوله سبحانه – حكاية لقول نوح عليه السلام لقومه: ﴿ ولا أقولُ للّذين تَزدري أَعينكُم لَنْ يؤتيهم اللهُ خيرا اللهُ أعلَم بمَا في أَنْفُسهمْ﴾".[42] وقوله ﷺ: {إن لا إله إلا الله، كلمةَ على الله كريمة، لهاَ عند الله مكان، وهي كَلمَة من قَالَها صادقا، أدخله الله بها الجنة، ومن قالها كاذبا، حقنت دمه، وأحرزت ماله، ولقي الله غدا فحاسبه}[43].

بمعنى أن حتى من قال كلمة التوحيد كفرا وتعوذا ليس من حق أحد محاسبته على نواياه، هل هو كاذب أم صادق؟ بل يترك أمره إلى الله، القادر على الحساب إن شاء عاقب وإن شاء عفا. فالأولى إذن التوقف في هذا الأمر امتثالا لأمر الله ورسوله ﷺ كما علم وعمل العلماء الأجلة. وكدليل على عملهم، أذكر وصية الإمام الغزالي رحمه الله بعدما طغت الظاهرة في عصره، فأدلى بدلوه قائلا:" أما الوصية: فأن تكف لسانك عن أهل القبلة ما أمكنك ما داموا قائلين: لا إله إلا

الله محمد رسول الله غير مناقضين لها، والمناقضة تجويزهم الكذب على رسول الله ﷺ بعذر أو غير عذر، فإن التكفير فيه خطر، والسكوت لا خطر فيه"[44].

5.3 طغيان ظاهرة التكفير والتكفير المضاد:

إن أولى أساسيات الأخوة في الله: هي الإيمان بالله لقوله تعالى: ﴿إنما المؤمنون إخوة﴾ وهو ما أصبح عملة نادرة على كثير من مواقع التواصل، بعدما أنشئت مواقع لنصرة الفرقة، طغى على خطابها الدعوة لما هي عليه وتسفيه ما عليه الغير. و هذا من أسوء حالات التحول التي عرفتها الدعوة، وهي: التحول من الدعوة إلى الله إلى الدعوة للفرقة التي أنشأت الموقع في تجاهل تام لقوله تعالى: ﴿ ومَن أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّنْ دَعَا إِلَى الله وعَمِلَ صَالِحًا وقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾[45] فالآية وسعت على المسلمين، بينما بعض الدعاة َضيقوا ما وَسعه الله َرحمةَ بعباده خَدمة لأهدافهم الدنيوية الضيقة التي لا تدل على الإخلاص مطلقا، ولا على البصيرة التي تمكن الداعية من تمييز المصلحة من المفسدة، كما جاء في قوله تعالى: ﴿ قُلْ هذه سبيلي أدعُو إِلَى الله علَى بَصيرة أَنَا ومنِ اتَّبعَنِي وسُبْحَانَ الله وما أَنَا منَ المشْرِكِينَ﴾[46]. فأصبحَ ضيَقَ أفق الدعاة وَحبهم للدنَيا ً من أسبَاب تحَول الدعوة من َالدعوة إلىَ الله إلى َالدعوة للفرقة المختارة من الداعية، فتحولت الدعوة من العالمية إلى الفئوية الضيقة، مخالفة لقوله تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَيُّها الناسُ إِنّي رسولُ الله إليكُمْ جَميعا﴾[47]، وقوله تعالى: ﴿ وما أَرْسَلْنَاكَ إلا رحمةً للعالَمين﴾[48]، ومن الربانية َإلى البشرية َباعتبار مَصدر كل منهما، فأصبح الانتصار للفرقة أكثر من الاَنتصار للدين، "وبذلك يصبح النص الديني تابعا، بدل أن يكون متبوعا، فينمو التدين المغشوش، ويسود فقه الحيل، ويوظف الدين لأغراض الناس وأهوائهم، ويستخدم مسوغا لتصرفاتهم، وتصنع الفتاوى وتجهز، ويلوى عنق الأدلة... وهنا يبرز الإنسان الذي يكون إلهه هواه، وتنقلب المعادلة ويصير ما جاء به الرسول ﷺ تابعا لأهواء البشر، بينما الوضع السليم للتدين، الانضباط بقول الرسول ﷺ[49]{ لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به}[50].

فأصبحت الأخوة محصورة في أخوة الفرقة والمذهب، أما ذو التوجه المغاير فهو عدو، في تناقض تام لقوله تعالى: ﴿إنما المؤمنون إخوة﴾[51]، كل المؤمنين من دون تمييز بين شيعي (زيدي أو

إمامي...)، وسني (سلفي أو صوفي...)... وهذا لا يعني أني ضد التمذهب بل أدعو إلى ترشيده وعدم التعصب له باعتبار المذهب وسيلة وليس غاية، فالدين الخالص هو الغاية ومصدره رباني، أما الفهوم البشرية فهي نسبية ولا يمكن أن تصل الحقيقة المطلقة التي يجب التشبث بها على مر العصور والأزمان، ولا يمكن أن تستحق هذه القداسة التي أصبحت سبب الفرقة والتنابز بالألقاب على حساب الاسم الجامع وهو المسلمون بدل السنة، والشيعة، والسلفية، والصوفية....

5.3 تحول الأخوة في الله إلى الأخوة في الفرقة:

إن أولى أساسيات الأخوة في الله: هي الإيمان بالله لقوله تعالى: ﴿إنما المؤمنون إخوة﴾. وهو ما أصبح عملة نادرة على كثير من مواقع التواصل، بعدما أنشئت مواقع لنصرة الفرقة، طغى على خطابها الدعوة لما هي عليه وتسفيه ما عليه الغير. و هذا من أسوء حالات التحول التي عرفتها الدعوة، وهي: التحول من الدعوة إلى الله إلى الدعوة للفرقة التي أنشأت الموقع في تجاهل تام لقوله تعالى: ﴿ ومن أحسن قولاً ممَّن دعا إلَى الله وعمل صالحا وقالَ إنَّني من الْمُسْلمينَ}[52]. فالآية وسعت على المسلمين، بينما بعض الدعاةَ ضيقَوا ما وَسعه اللهَ رَحمةَ بعباده خَدمة لأهدافهم الدنيوية الضيقة التي لا تدل على الإخلاص مطلقا، ولا على البصيرة التي تمكن الداعية من تمييز المصلحة من المفسدة، كما جاء في قوله تعالى: ﴿ قُلْ هذه سبيلي أدعُو إلَى الله علَى بَصيرة أنا ومنِ اتَّبعَني وسُبْحانَ الله وما أنا منَ المشْركينَ﴾[53].

وهكذا أصبح أفق الدعاة ضيقا، وحبهم للدنيا سببا من أسباب تحول الدعوة، من الدعوة إلى الله إلى الدعوة للفرقة المختارة، فتحولت الدعوة من العالمية إلى الفئوية الضيقة، مخالفة لقوله تعالى: ﴿ قُلْ يا أيُّها الناسُ إنّي رسولُ الله إليكُمْ جَميعا﴾[54]، وقوله تعالى: ﴿ وما أرسلْنَاكَ إلا رحمةً للعالَمين﴾[55]، ومن الربانية إلى البشَرية باعتبارَ مصدر كل منهما، فأصبح الانتصار للفرقة أكثر من الانتصار للدين، "وبذلك يصبح النص الديني تابعا، بدل أن يكون متبوعا، فينمو التدين المغشوش، ويسود فقه الحيل، ويوظف الدين لأغراض الناس وأهوائهم، ويستخدم مسوغا لتصرفاتهم، وتصنع الفتاوى وتجهز، ويلوى عنق الأدلة... وهنا يبرز الإنسان الذي يكون إلهه هواه، وتنقلب المعادلة ويصير ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم تابعا لأهواء البشر، بينما الوضع

السليم للتدين، الانضباط بقول الرسول صلى الله عليه وسلم[56]{ لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به}[57].

فأصبحت الأخوة محصورة في أخوة الفرقة والمذهب، أما ذو التوجه المغاير فهو عدو، في تناقض تام لقوله تعالى: ﴿إنما المؤمنون إخوة﴾[58]، كل المؤمنين من دون تمييز بين شيعي(زيدي أو إمامي...) وسني (سلفي أو صوفي...)... وهذا لا يعني أني ضد التمذهب بل أدعو إلى ترشيده وعدم التعصب له باعتبار المذهب وسيلة وليس غاية، فالدين الخالص هو الغاية ومصدره رباني، أما الفهوم البشرية فهي نسبية ولا يمكن أن تصل الحقيقة المطلقة التي يجب التشبث بها على مر العصور والأزمان، ولا يمكن أن تستحق هذه القداسة التي أصبحت سبب الفرقة والتنابز بالألقاب على حساب الاسم الجامع وهو المسلمون بدل السنة، والشيعة ، والسلفية، والصوفية....

4. التدابير الوقائية للحد من آثار هذه العلاقة:

إن الوقاية من آثار هذه العلاقة ليس بالأمر اليسير لكن ليس بالمستحيل مما يعطيني فرصة اقتراح بعض الحلول:

- تعزيز إيجابيات هذه الوسائل وهي كثيرة مع تعزيز نطاق استعمالها.
- فتح أبواب الحوار لمناقشة القضايا العالقة التي تثير التعصب
- معرفة السنن الإلهية والسير على نورها طريق وحدة الكلمة ونبذ الفرقة. قال تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ لا يُغَيِّرُ ما بِقَوْمٍ حتَّى يُغَيِّرُوا ما بِأَنْفُسِهِم﴾
- تعزيز دور العلماء لكونهم قادرون على التشخيص والعلاج في الدروس والخطب.
- الدعوة إلى حجب وإغلاق كل المواقع التحريضية التي تعمل على تأجيج نار العصبية المذهبية.

خاتمة البحث:

لقد عجز أبناء الأمة الإسلامية المتعصبين لفرقتهم أن يستغلوا وسائل التواصل الاجتماعي لصالح التواصل فيما بينهم من أجل تقريب وجهات النظر، وتضييق الفجوات إن لم يتم غلقها، وتحسين أساليب الحوار والنقاش فيما بينهم أفضل مما كان متداولا عند سابقيهم. فكل ما فعلوه مع هذه الوسائل هو جعلها وسائل لإعلان الخلافات على عموم الناس مختصين وعوام بسطاء، فأصبح العامي الذي لا يدرك من الكلمات سوى اسمها ورسمها أحيانا، يتحدث ويناقش ويحلل قضايا خلافية كانت لعهد قريب حديثا من اختصاص العلماء، لكن في وقت شيوع هذه الوسائل أصبحت موضع نقاش بائع الخضر في السوق، والخياط والنجار وطالب العلم المبتدئ.

وهكذا فُتح الباب على مصراعيه للنقاش العقيم الذي لا يؤدي إلى نتيجة سوى تبادل السب والشتم وألفاظ القدح والذم؛ مما أدى إلى مزيد من الشقاق والخصام بين أبناء الوطن الواحد، ما بالك بأبناء الأمة الواحدة. فأصبحت هذه الوسائل لأكثرنا فتنة ونقمة. ولم تكن في أكثر الحالات وسائل تواصل بقدر ما أصبحت وسائل قطيعة، وتصنيف، وتكفير، متناسين قوله تعالى: ﴿هو سَمَّاكُمُ المسْلمينَ من قَبْلُ﴾[59]. فهذا هو الاسم الذي اختاره الله لأمته، فكيف يهمش هذا الاسم القرآني لصالَح أسماء أخرى، نعلم يقينا ظهورها في فترات عصيبة عرفتها الأمة الإسلامية، ولم تكن قط تلك الأسماء ناتجة عن الاختلاف في الألوان والألسن والثقافات الذي هو سنة كونية، بل جاءت نتيجة للنزاعات والصراعات السياسية وغيرها.

مع أن وصية الله للمسلمين في غير ما مرة واضحة جدا؛ بأن لا نختلف اختلافا يكون سبب الفرقة والتشرذم، ﴿ ولا تَكُونُوا كالَّذينَ تفَرَّقُوا واختلفُوا من بَعد ما جَاءتهُمُ البَيِّنَات وأولئكَ لَهُم عذاب عظيم﴾[60]. فالفرقة عذاب ولا يمكن أن تكون سببا للخيرَ أبدا؛ بل لا تكوَن إَلا سببا للفتن والحروب والنزاعات التي تبدأ صغيرة، يعتقد كل متسبب فيها أنه على حق ومن واجبه الانتصار لنفسه والدفاع عن حماه، وسرعان ما يدب الخلاف والنزاع فيصعب إخماده، ويحرق من ظن نفسه على صواب إلى جانب من ظنه عدوه، ولا يسلم من الفرقتين أحد، وواقع الأمة في العراق وسوريا وليبيا واليمن...خير دليل.

مصادر ومراجع البحث:

قائمة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم برواية ورش
- أحمد بن حنبل، **المسند**، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى 1421-2001.
- أحمد بن الصديق الغماري، **الإقليد لتنزيل كتاب الله تعالى على أهل التقليد**، مخطوط بخط قاسم بن علي بن عب المومن الإدريسي، انتهى من نسخه 1390/ 1970م في مكتبة خاصة.
- أحمد بن الصديق الغماري، **جؤنة العطار في طرف الفوائد ونوادر الأحبار**، الجزء الأول والثاني، قام بترتيب مواده وعنونتها المختار محمد التمسماني.
- إسماعيل بن الخطيب أبي حفص عمر بن كثير الدمشقي، **تفسير القرآن العظيم**، مكتبة النور العلمية، بيروت،1416-1995م.
- ابن حزم الأندلسي، **الإحكام في أصول الأحكام** عنى بتصحيحه أحمد محمد شاك، طبع على نفقة مكتبة الخانجي، الطبعة الأولى سنة 1347.
- أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي" **شرح السنة**"، تحقيق: شعيب الأرنؤوط – محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي دمشق- بيروت، الطبعة: الثانية، 1403هـ - 1983م.
- أبو دواد سليمان بن الأشعث، **سنن أبي داود**، تحقيق شعيب الأرنؤوط- محمد كامل قره بللي، دار الرسالة العالمية، الطبعة الأولى، 1430- 2009م.
- عبد العزيز بن الصديق الغماري، **السوانح**، مخطوط في مكتبة خاصة.
- عبد الله بن الصديق الغماري، **خواطر دينية**، الطبعة الثالثة 1425- 2004م، مكتب القاهرة.

- فريد الأنصاري، **التوحيد والوساطة في التربية الدعوية**، كتاب الأمة، الطبعة الأولى، جمادى الأولى 1316، شتنبر- أكتوبر 1995م، الدوحة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، السنة الخامسة عشرة، العدد 47.
- محمد بن إبراهيم بن عبد الباعث الحسيني الكتاني، **إبراء الذمة بتحقيق القول حول افتراق الأمة**، الطبعة الأولى 1418- 1997م، مطابع دار الصفوة، القاهرة.
- محمد بن إسماعيل البخاري، **صحيح البخاري**، مكتبة الوحدة العربية، الدار البيضاء – المغرب، الطبعة الأولى1421/2000م.
- أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد بن حبان التميمي، **صحيح ابن حبان**، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى 1408- 1988م.
- محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، **المستدرك على الصحيحين**، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى 1411- 1990م.
- محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني ت 1250، **فتح القدير**، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب- دمشق، الطبعة الأولى، 1414
- أبي حامد محمد بن محمد بن أحمد الغزالي، **فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة**، قرأه وخرج أحاديثه وعلق عليه محمود بيجو، الطبعة الأولى 1413/ 1993م.
- محمد ناصر الدين الألباني، **سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيء في الأمة**، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع لصاحبها سعد عبد الرحمان الراشد الرياض، الطبعة الثانية 1420- 2000م.
- أبو عبد الله محمد بن يزيد القرشي، **سنن ابن ما جه**، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرين، دار الرسالة العالمية، الطبعة الأولى 1430- 2009م .
- يحي بن الحسين بن إسماعيل بن زيد الحسني الشجري، **ترتيب الأمالي الخميسية للشجري**، ترتيب القاضي محي الدين محمد بن أحمد القرشي العبشمي، تحقيق محمد حسن محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى 1422/ 2001، ج1 ص 32، رقم97.

- أبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي" **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد"**، حققه مصطفى البكري، وزارة الأوقاف، طبع 1387 .
- يوسف القرضاوي" **الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم**، طبعة دار الشروق الأولى، 1321- 2001م.

- **بعض المقالات الإلكترونية:**

- أسامة المهدي بتاريخ 15- 7- 2008 " **حرب الصوت والصورة بين المواقع السنية والشيعية على الإنترنيت"**، موقع "المصري اليوم" عدد الخميس 10 يونيو 2008، العدد 1488 : today.almasryalyoum.com .

- مراد الشوابكة، **تعريف وسائل التواصل الاجتماعي**، 30 ديسمبر 2015م، موقع موضوع: mawdoo3.com
- سناء الدويكات، **تعريف شبكات التواصل الاجتماعي**، 2 ماي 2017، موقع موضوع: mawdoo3.com
- جريدة العرب الإلكترونية، أفيخاي أدرعي يحاضر في قواعد اللغة العربية على فيسبوك- "**منصات التواصل الاجتماعي سلاح إسرائيل لتحطيم الحاجز النفسي**"، الأربعاء 20- 12- 2017/ السنة 40 العدد 10848، alarab.co.uk تاريخ الولوج 21- 4- 2018.
- مشعل الحداري، **التعصب: تعريفه وأنواعه وأضراره وحكمه**، ، موقع الحوار اليوم، الاثنين، 08/ 15/ 2011 www.alhiwartoday.net .

الهوامش:

---

[1] سورة البقرة الآية 167

[2] لسان العرب، ابن منظور، مادة عصب، ص 2966.

[3] المعجم الغني، موقع المعاني: www.almaany.com .

[4] محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني ت 1250، فتح القدير، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب– دمشق، الطبعة الأولى، 1414، ج6 ص 451.

[5] التعصب: تعريفه وأنواعه وأضراره وحكمه، مشعل الحداري، موقع الحوار اليوم، الاثنين، 2011/15/08 - 11:21، www.alhiwartoday.net

[6] التمهيد، ابن عبد البر، تحقيق مصطفى البكري، المغرب، وزارة الأوقاف، 1387، ج 12، ص 203.

[7] سورة المائدة الآية 20

[8] سورة الأنفال الآية 32

[9] خواطر دينية، عبد الله بن الصديق الغماري، مكتبة القاهرة، الطبعة الثالثة 1425/ 2004م ج2، ص17- 22 بتصرف

[10] تعريف وسائل التواصل الاجتماعي، مراد الشوابكة، 30 ديسمبر 2015 موقع موضوع: mawdoo3.com

[11] تعريف شبكات التواصل الاجتماعي، سناء الدويكات، 2 ماي 2017، موقع موضوع: mawdoo3. Com

[12] الصوفية تحت المجهر، الفايسبوك، تاريخ الولوج 15- 11- 2018

[13] بتاريخ 28 شتنبر 2012، تاريخ الولوج للمعلومة 30-4- 2018

[14] نشر بتاريخ 9- 4- 2018 على الساعة 20:32، تاريخ الولوج 30-4- 2018.

[15] " حرب الصوت والصورة بين المواقع السنية والشيعية على الإنترنيت"، أسامة المهدي، موقع "المصري اليوم" بتاريخ 15- 7- 2008، عدد الخميس 10 يونيو 2008، العدد 1488 : today.almasryalyoum.com

[16] حساب الصوفية تحت المجهر بتاريخ 30 مارس 2018 على الساعة 8:42، تاريخ الولوج 30-4- 2018.

[17] منتديات كل السلفيين– منبر الرد على أهل الأهواء والشيعة الشنعاء، 9-24-2010 www.kulalsalafiyeen.com

[18] تفسير ابن كثير، الآية 11 من سورة الحجرات، ج 4 ص 214

[19] سورة المائدة، جزء الآية 4

[20] أخرجه أحمد في المسند ج 2 ص 311

[21] الإحكام في أصول الأحكام ج 5 ص 64

[22] الإقليد، أحمد بن الصديق الغماري، لتزيل كتاب الله على أهل التقليد، مخطوط عبارة عن تفسير للقرآن الكريم، بخط قاسم بن علي بن عبد المومن، موظف سابق بالخزانة الحسنية، انتهى من نسخه 1390هـ / 1970م وهو مجلد واحد، في خزانة خاصة ص 409/ جؤنة العطار ج 1 ص 121، فائدة 191/ جؤنة العطار ج2 ص 99 فائدة رقم 386.

[23] السوانح، عبد العزيز بن الصديق الغماري، مخطوط عبارة عن تفسير للقرآن الكريم في مجلد في خزانة خاصة ص 375/ مقال في جريدة العلم عبارة عن رد علمي بتاريخ 12 أبريل 1990.

[24] السلسلة الضعيفة، الألباني، ج1 ص 141، رقم الحديث 57.

[25] أخرجه أحمد في المسند، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى 1421هـ - 2001م، رقم الحديث،12208 ج19 ص241، قال شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح بشواهده، وهذا إسناد ضعيف لضعف النميري.

[26] أخرجه أبو داود في السنن، تحقيق شعيب الأرنؤوط- محمد كامل قره بللي، دار الرسالة العالمية، الطبعة الأولى، 1430- 2009م، باب شرح السنة، ج5 ص 7، رقم 4596، قال المحقق حديث صحيح.

[27] أخرجه ابن ما جه في سننه، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرين، دار الرسالة العالمية، الطبعة الأولى 1430- 2009م، باب افتراق الأمم، ج 5 ص 128، رقم 3991، قال المحقق صحيح لغيره.

[28] أخرجه ابن حبان في صحيحه، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى 1408- 1988م، ج14 رقم 140، رقم 6247، قال المحقق حديث حسن.

[29] أخرجه الحاكم في المستدرك، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى 1411- 1990م، ج1 ص 47 رقم 10

[30] جمال الدين أبي الحجاج يوسف المزي، تحقيق بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، 1403- 1983م، مج 26، ص212- 215

[31] أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ج9 ص 375

[32] " الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم، يوسف القرضاوي، طبعة دار الشروق الأولى، 1321- 2001م، ص 34 -35

[33] انظر مثلا شبكة الربانيون العلمية، منبر المنهج، " ماهو المنهج السلفي[السلفية هي الفرقة الناجية والطائفة المنصورة]، أبو عبد الله أحمد بن نبيل، 9-4- 2011، 7: 27 مساء alrbanyon.com // انظر موقع فركوس، السلفية منهج الإسلام وليست دعوة تفرق وتحزب وفساد، الجزائر في: 11 جمادى الأولى 1438هـ الموافق لـ: 28 ماي 2007م ferkous.com // الموقع الرسمي للشيخ صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان http://alfawzan.af.org.sa ، ظلال الطرق الصوفية ، إجابة عن سؤال المذاهب والطرائق المنحرفة، تاريخ الولوج 30-4- 2018.

[34] انظر مثلا منتديات ياحسين، الحوار الإسلامي، عقائد، سيرة – تاريخ، "ماهي الفرقة الناجية" تأليف الشيخ علي آل محسن، نشر العضو حسين الأكرف، 22-3- 2012، 1:46./ انظر الأسئلة والأجوبة " الفرقة الناجية" الشيعة الإمامية هم الفرقة الناجية ، سؤال صلاح من الإمارات، وجواب أحد شيوخ الشيعة عليه، تاريخ الولوج 30- 4- 2018، مركز الأبحاث العقائدية http://www.aqaed.com ،

[35] انظر كتاب الفرقة الناجية لمحمد ماضي أبو العزائم وغيره مما ينشر في أغلب المواقع الصوفية

[36] افتراق الأمة ص 49

[37] انظر مثلا ما كتبه أفيخاي أدرعي على حسابه في الفايسبوك من سؤال وجهه لمتابعيه من المسلمين حول الأحق بالخلافة عمر أم علي؟ وما حدث من مشاحنات بين السنة والشيعة خلال أجوبتهم.

[38] جريدة العرب الإلكترونية، أفيخاي أدرعي يحاضر في قواعد اللغة العربية على فيسبوك- "منصات التواصل الاجتماعي سلاح إسرائيل لتحطيم الحاجز النفسي"، الأربعاء 20-12- 2017/ السنة 40 العدد 10848، alarab.co.uk تاريخ الولوج 21- 4- 2018

[39] أخرجه أحمد في المسند، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى 1421-2001 ج17 ص 127

[40] التوحيد والوساطة في التربية الدعوية، فريد الأنصاري، كتاب الأمة، الطبعة الأولى، جمادى الأولى 1316 السنة الخامسة عشرة، العدد 47 ج1 ص14.

[41] سورة النساء جزء الآية 93

[42] إبراء الذمة بتحقيق القول في افتراق الأمة، محمد بن إبراهيم بن عبد الباعث الحسيني الكتاني، الطبعة الأولى 1418-1997م، مطابع دار الصفوة القاهرة، ص 90

[43] ترتيب الأمالي الخميسية للشجري، يحيى بن الحسين بن إسماعيل بن زيد الحسني الشجري، ترتيب القاضي محي الدين محمد بن أحمد القرشي العبشمي، تحقيق محمد حسن محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى 1422/ 2001، ج1 ص 32، رقم97.

[44] فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة، أبي حامد محمد بن محمد بن أحمد الغزالي، قرأه وخرج أحاديثه وعلق عليه محمود بيجو، الطبعة الأولى 1413/ 1993م، ص 61.

[45] سورة فصلت الآية 32

[46] سورة يوسف الآية 108

[47] سورة الأعراف جزء الآية 158

[48] الأنبياء الآية 106

[49] التوحيد والوساطة في التربية الدعوية ص 18.

[50] شرح السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي "، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي دمشق- بيروت، الطبعة: الثانية، 1403هـ - 1983م، ج1 ص 213

[51] سورة الحجرات جزء الآية 10

[52] سورة فصلت الآية 32

[53] سورة يوسف الآية 108

[54] سورة الأعراف جزء الآية 158

[55] الأنبياء الآية 106

[56] التوحيد والوساطة في التربية الدعوية ص 18.

[57] شرح السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي "، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي دمشق- بيروت، الطبعة: الثانية، 1403هـ - 1983م، ج1 ص 213

[58] سورة الحجرات جزء الآية 10

[59] الحج الآية 76

[60] سورة آل عمران الآية 105.